

إسهامات عمار ساسي في تحليل الخطاب القرآني – الإعجاز البياني أنموذجا

ياسين محروق

Yassinemahroug1987@gmail.com

جامعة يحي فارس المدية

تاريخ النشر 2025/07/01	تاريخ القبول 2025/06/01	تاريخ الإرسال 2025/05/01
------------------------	-------------------------	--------------------------

الملخص: يعدّ الخطاب من أهم المفاهيم الحديثة في الثقافة العربية، تبنته الجامعات الجزائرية من خلال عدّة اتجاهات وتخصصات أهمها النقد والأدب وعلوم اللسان، ويعدّ الخطاب القرآني أحد أنماط هذا الخطاب؛ بل أرقاها جميعا، لما للقرآن الكريم من خصائص لا تحتويها باقي مكونات المدونة اللغوية العربية من شعر ونثر.

والأستاذ الدكتور عمار ساسي أحد أعلام الدرس اللساني سواء في الجزائر أو في الوطن العربي، وإسهاماته في هذا الدرس جلية واضحة، ومنها ما تناوله في تحليل الخطاب القرآني في كتبه ومقالاته ومساهماته البحثية المخبرية.

هذه المداخلة المعنونة بـ: إسهامات عمار ساسي في تحليل الخطاب القرآني – الإعجاز البياني أنموذجا، تبحث في مساهمة عمار ساسي في دراسة الخطاب القرآني من خلال مؤلفاته، ممثلة في كتابه الإعجاز البياني في القرآن الكريم وهذا تحت إشكالية مفادها: ما إسهامات عمار ساسي في تحليل الخطاب عامة وتحليل الخطاب القرآني خاصة والإعجاز القرآني بالأخص؟

فهدفنا من خلال هذه المداخلة معرفة بعض هذه الإسهامات، محاولةً منا نشر القليل من فكر هذا الرجل في الأوساط الجامعية باعتباره أحد أعلام الدرس اللساني بتشعباته في الجزائر.

مقدمة: القرآن الكريم كلام الله المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة عن طريق جبريل عليه السلام، المعجز بألفاظه ومعانيه، والمتعبد بتلاوته، والمنقول بالتواتر.

والقرآن الكريم هو مصدر التشريع الأول للأمة، يشد العلماء بمختلف مناهلهم واتجاهاتهم، معاصم أفلامهم ورجاحة عقولهم، وصبرهم على المصاعب، قصد فهم هذا الخطاب الموجه للعالمين إنسهم وجنهم، عربهم وعجمهم.

وأحد من تناول هذا الخطاب بالتناول هو الأستاذ العالم اللساني الدكتور عمار ساسي أحد أعلام الدرس اللساني سواء في الجزائر أو في الوطن العربي، وإسهاماته في هذا الدرس جلية واضحة، ماثلة في كتبه ومقالاته ومساهماته البحثية المخبرية.

فهذه المداخلة المعنونة بـ: إسهامات عمار ساسي في تحليل الخطاب القرآني – الإعجاز البياني أنموذجاً، تبحث في مساهمة عمار ساسي في دراسة الخطاب القرآني من خلال مؤلفاته، ممثلة في كتابه الإعجاز البياني في القرآن الكريم وهذا تحت إشكالية مفادها: ما إسهامات عمار ساسي في تحليل الخطاب عامة وتحليل الخطاب القرآني خاصة والإعجاز القرآني بالأخص؟

فهدفنا من خلال هذه المداخلة التعريف ببعض هذه الإسهامات، محاولةً منا نشر القليل من فكر هذا الرجل في الأوساط الجامعية باعتباره أحد أعلام الدرس اللساني بتشعباته في الجزائر وأحد أعمدة الجامعة الجزائرية، منهجنا في ذلك هو المنهج التحليلي المناسب لرسم هذه الإسهامات تقديمها والتعليق عليها، مقسمين البحث إلى ثلاثة أقسام، في أحدهم حديث عن سيرة الدكتور عمار ساسي وفي الآخر بعض المفاهيم الخاصة بتحليل الخطاب القرآني، وفي الثالث الإعجاز البياني عند عمار ساسي.

1. مفهوم الخطاب القرآني:

يعدّ الخطاب من المفاهيم الحديثة التي تبنتها الدراسات اللسانية والنقدية في العالم الغربي والعربي، وتنوعت تعاريفه بتعدد اتجاهات النظر إلى هذا المعطى فانحصرت بين:

1- الخطاب كمقابل للكلام عند دي سوسير وهي نظرة لسانية

2- الخطاب كمتوالية جمل وهو مرادف للنص

3- الخطاب كملفوظ وهي نظرة تداولية

فإيميل بينفينيست (Émile Benveniste) ينظر إلى الخطاب من جهة المتكلم والسامع وعلاقة التأثير والتأثر بينهما فيجعله «كل تلفظ يقتضي متكلماً وسامعاً، حيث يتوفر الأول على قصد التأثير على الغير بصفة ما»¹.

أما الخطاب عند صاحب المدرسة الوظيفة العربية أحمد المتوكل هو: «كل ملفوظ/مكتوب يشكل وحدة تواصلية قائمة الذات»² فيستفاد من هذا التعريف:

- الخطاب يشمل الجملة
- الخطاب أساسه الوظيفة التواصلية

• الخطاب هو كل وحدة مهما قصر أو طال حجمها.

أما سعد مصلوح فيعرف الخطاب بقوله : «الخطاب هو رسالة موجهة من المنشئ إلى المتلقي تستخدم فيها نفس الشفرة اللغوية المشتركة بينهما ، ويقضي ذلك أن يكون كلاهما على علم بمجموع الأنماط والعلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية التي تكون نظام اللغة ، أي (الشفرة) المشتركة وهذا النظام يلبي متطلبات عملية الاتصال بين أفراد الجماعة اللغوية ، وتتشكل علاقاته من خلال ممارساتهم كافة ألوان النشاط الفردي والاجتماعي في حياتهم»⁽³⁾.

فالخطاب عنده إذن، مجموعة من الملفوظات الموجهة من متكلم إلى مستمع، تحمل هذه الملفوظات خصائص معينة يسعى من خلالها المتكلم إلى التأثير على هذا المستمع مراعيًا الجوانب الثقافية والاجتماعية والسياقات المختلفة لمتلقي الخطاب

أما عبد الرحمن الحاج صالح فيعتبر الخطاب من المفاهيم التي ارتكز عليها التحليل اللغوي عند النحاة قديما ويعرفه بأنه الكلام الحاصل ضمن دورة تسمى بدورة التخاطب تضم متكلم ومستمع يتبادلان الأدوار ومقابله Discours أو Énoncé بالفرنسية و Utterance بالانجليزية⁴ ، وسقوط أحد طرفي التخاطب أي المُخاطَب أو المُخاطَب يعني خروج الكلام من كونه خطابا، وهذا الخطاب هو الذي تناوله النحاة « لا كنص مجرد بل بكل ما يحيط به عند حدوثه من أحوال وظروف وكذلك الأحوال التي سبقت حدوثه وبقيت مسجلة في ذاكرتهم مما يمكن أن تعتبر أسبابا لتحصيله»⁵

وقد تعددت تعريفات الخطاب تبعا لتعريفات المركب معها الدال على أنواعها على نحو الخطاب السياسي، الخطاب الإعلامي، الخطاب التاريخي، الخطاب الديني، وغيرها من الخطابات، وكان لزاما أن يكون القرآن الكريم أحد هذه الخطابات باعتباره كلام الله المخاطب به الناس أجمعين.

وعليه فيمكن تعريف الخطاب القرآني على أنه كلام الله الحاصل داخل النص القرآني منه أو على لسان خلقه إليه أو لخلق قصده تحقيق بيان معين وتبعا لهذا التعريف يكون الخطاب:

- من الخالق إلى خلقه على نحو قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ (٢٠) ﴿الأنفال: 20.
- من المخلوق إلى الخالق على نحو قوله عز وجل على لسان أيوب عليه السلام: ﴿أَنِّي مَسْنِي الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٨٣) ﴿الأنبياء: 83.
- من المخلوق إلى المخلوق على نحو قوله عز وجل على لسان موسى عليه السلام إلى قومه مخاطبا إياهم: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ

فَتَنَقَّلُوا خَاسِرِينَ (٢١) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنُ نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢) ﴿المائدة 22:21﴾

وقد تنوعت تحليلات الخطاب القرآني وتفرعت تبعا لتشعبات مناهج تحليل الخطاب، بل تطبيق المناهج الإنسانية على القرآن الكريم صار سمة الدراسات الجامعية والأكاديمية المحكمة، فتداولت المناهج على صبر أغوار هذا الذي لا تنتهي أسرارها فهل كفته ووفته، لا وألف لا!

فقد درست آيات القرآن الكريم وسوره دراسة بنوية من خلال المنهج البنوي الذي وإن كان جوهره منافيا للإسلام إلا أنه استفاد منه بعضهم في إبراز ذلك النسق المحكم لآيات القرآن وبنائه الذي لا ترى فيه عوجا.

وقد درس القرآن الكريم دراسات لسانية عديدة « وعندما نتأمل الدراسات اللسانية للقرآن الكريم اليوم ندرك فعلا أننا أمام علم عربي إسلامي جديد يمكن أن نطلق عليه مصطلح "تحليل الخطاب القرآني"»⁽⁶⁾

وقد درس القرآن دراسة سيميائية تظهر ذلك الاعجاز كسيميائية سورة البقرة من خلال علاقة التسمية بمعاني آيات السورة فبذلك « لقد استطاعت التسمية أن تكون مرتكزا دلاليا شكل بؤرة انبثق منها الخطاب وتمحورت حولها المعاني ، لتمكن المتلقي من استقبال هذه الدلالات بالشكل الذي لو غاب فيه النص ، فهي كافية في استحضار الصورة من جديد واضحة وضوح صورة الحيوان في خيال الصغار قبل الكبار»⁽⁷⁾

وغيرها من المناهج كالأسلوبية، والتداولية والتفكيكية والدراسات المقارنة، والدراسات القرائية التأويلية وغيرها بما لهذه المناهج من محاسن وسموم. فمع كل هذه المناهج التحليلية إلا أن الخطاب القرآني لا يمكن إحكامه ولو اجتمعت كل المناهج فكيف بمنهج واحد، وبالتالي « يتأبى النص القرآني على التأطير المنهجي؛ فهو مفتوح للقراءة والتفاعل؛ فلا يمكن لعدة تحليلية إجرائية واحدة أن تغني لمحاصرة مظاهر إفضائه الإعجازي، والرأي أن التركيب المنهجي المتسع المرن، المنطلق من ثمار جهود علمائنا الأوائل، والمنفتح على المناهج الحديثة، مع الاستفادة من العلوم المشتغلة على النص، أجدى بكثير»⁽⁸⁾

2. تعريف عمار ساسي⁽⁹⁾

الدكتور البروفيسور عمار ساسي أحد أعمدة اللغة العربية واللسانيات في الوطن العربي، جزائري ولد سنة 1958 بمدينة البليدة المحاذية للجزائر العاصمة، حصل على شهادة الماجستير من جامعة الجزائر سنة 1992، وكذا شهادة دكتوراه دولة في علم اللغة العربية سنة 1997 برسالة معنونة بـ: "الإعجاز البياني في الآيات المحكمات – العبادات والمعاملات".

جلس على كرسي التدريس في جامعات مختلفة من ربوع الجزائر، جامعة الجزائر، جامعة تيزي وزو، جامعة البليدة، جامعة التكوين المتواصل، حيث درس عديد المقاييس، مقدما لطلبته مادة علمية دسمة لا تتعطر بالتقليد، إنما عصارتها دائما التجديد والتجديد فقط كما يقول، فدرّس النحو والصرف والبلاغة وفقه اللغة، واللسانيات وتطبيقاتها وفروعها المختلفة، والمعجمية التي عرفت نقلة نوعية على يده ومخبره الذي رأسه.

أشرف على دفعة لا بأس بها من طلبة الماجستير والدكتوراه، وكذا الليسانس والماستر فتكون على يده آلاف الطلبة فكان له مساهمة واسعة في بناء الاتجاه العام للدرس اللغوي في الجزائر من خلال المشاريع البحثية التي ترأسها أو كان عضوا فيها ومن أهمها:

1. قاموس اللسانيات العربية – جامعة تيزي وزو - 1995-1997، أنجز (عضو فريق البحث)
 2. إنجاز موسوعة الصوتيات العربية الحديثة 2003-إلى اليوم (مدير مخبر البحث)
 3. لجنة اللغة العربية لتحسين مستوى أساتذة التعليم الثانوي "المعهد التربوي الحراش (عضو)
 4. معجم الصوتيات الوظيفية 2004-2007. (رئيس فرقة بحث)
 5. خبير في لجنة تقويم وحدات البحوث وطنية وزارة التعليم العالي والبحث العلمي 2004
 6. عضو اللجنة الجهوية لتقييم أقسام ما بعد التدرج – في جامعات الوسط 2005-2006.
- فواضح مساهمات الدكتور عمار ساسي خاصة في الجانب المعجمي وصناعة المعاجم والقواميس التي ما أرحى معصم قلمه ولا ألغى توجيّه ورعايته في سبيل بناء تلك المعجمات الحافظة للعربية والمساهمة في تطويرها.
- من مؤلفاته كثير، توزعت بين الكتب والمقالات العلمية والمداخلات، الوطنية منها والدولية نذكر منها:

- اللسان العربي وقضايا العصر – رؤية علمية في الفهم والمنهج والخصائص والتحليل.

- المدخل إلى النحو والبلاغة في إعجاز القرآن الكريم

- المصطلح في اللسان العربي- من آلية الفهم إلى أداة الاستعمال

- الإعجاز البياني في الآيات المحكمات دراسة نظرية

- الإعجاز البياني في الآيات المحكمات دراسة تطبيقية

- منهج الجواب في آليات تحليل الخطاب - دراسة وصفية وظيفية في نماذج من القرآن والشعر

- المدخل إلى الصوتيات تاريخاً.

- وجوه جديدة في إعجاز القرآن الكريم.

3. الإعجاز البياني عند عمار ساسي:

ينطلق عمار ساسي في معالجة مسألة الإعجاز البياني من اعتبار أنّ الدراسات القرآنية وإن كثرت فهي لم ولن تفي التحليل الكامل لكلام الله عزّ وجلّ والبحث دائم فيه دوام هذا الكلام فيقول: «والبحث اللغوي في القرآن إلى اليوم قليل وإن بدا كثيراً. وكل ظاهرة لغوية تناولها باحث هي قابلة للبحث ثانية من وجه ثان»⁽¹⁰⁾، وهي حقيقة توضحها تلك المناهج التي صارت تتناول الخطاب القرآني بالتحليل وهي مما ذكرناه سابقاً، فالدكتور عمار ساسي يقرّ بتعدد مناهج تحليل الخطاب القرآني وأنها هي الموصلة لتحليل سوي لهذا الخطاب، بل قد يظهر تحليل ما يبدو لقارئه صحته، لكن سرعان ما تغيره الأيام بالبحث والتحليل إذ يقول: «القرآن الكريم حمال أوجه، والمناهج متعددة ومتباينة الوجهة... الاجتهاد مطلوب في كل وقت والنتائج العلمية منتظرة باستمرار، والمعهود اليوم قد تقلبه الحقيقة العلمية المكتشفة غداً إلى غير معهود، إني أقرّ هذا وأؤكد»⁽¹¹⁾، فعمار ساسي يرى أنّ تحليل الخطاب القرآني صار متنوع المناهج، نظير الاجتهادات القائمة، ولكن لا يجب الجزم بصحة هذه التحاليل أمام هذا المخزون الهائل من الإعجاز في القرآن الكريم، الذي ظهر بعضه وبقي الذي لا تنقضي عبره، ولا تفنى عجائبه، فهو الفصل ليس بالهزل، لا يشبع منه العلماء، ولا تزيغ به الأهواء، ولا يكل ولا يمل من سحر بيانه وأسرار بلاغته.

ومن ذلك يرى الدكتور عمار ساسي الإعجاز القرآني بالعلم لا بالموضوع له قوانينه وضوابطه العامة، ويذهب إلى القول بأنّ ما كتب في الإعجاز لا يعدو واحداً من ثلاثة فروع هي:

- السرد التاريخي: من خلال تتبع المحطات المهمة للإعجاز منذ أول مؤلف رصد فيه إلى عصرنا هذا، مع كل ما تحمله المراحل من بحوث جديدة في مضمونها الكي أو المكررة في بعض جزئياتها.

- الإثبات العلمي: من خلال تتبع الظواهر العلمية الواردة في القرآن الكريم

- الوجه البياني: وهو أهم الوجوه ومناطق التحدي عند نزول القرآن للعرب.

إنّ تعريف الدكتور عمار ساسي للإعجاز البياني العلمي كما يسميه ينطلق من نقده لمفهوم الإعجاز الذي يعتمد على عدد من علماء هذا المجال: «أمرٌ خارقٌ للعادة مَقْرُونٌ بالتحديّ مَعَ عدمِ المُعَارَضَةِ والتّحديّ الدّعوى»⁽¹²⁾

فهذه المعجزة التي وضع لها العلماء تعريفا متضمنا الشروط التالية⁽¹³⁾:

- 1 - أن تكون مما لا يقدر عليها إلا الله سبحانه
- 2 - أن تخرق العادة مثل: نبع الماء من بين الأصابع، وانشقاق الحجر لتخرج منه ناقة.
- 3 - أن يستشهد بها مدعي الرسالة على الله سبحانه وتعالى.
- 4 - أن تقع على وفق دعوى المتحدي بها.
- 5 - ألا يأتي أحد بمثل ما أتى به المتحدي على وجه المعارضة

يرى عمار ساسي أنها عبارة «وصفية دقيقة منقوصة من إبراز الخاصية المميزة للمعجزة القرآنية وهي بيان المقصد منها»⁽¹⁴⁾، أي هي وصف للمعجزة لا المعجزة القرآنية، فالشروط المذكورة هي شروط تتفق مع المعجزة في الدائرة العامة كما يقول عمار ساسي، فمعجزة سيدنا موسى وسيدنا عيسى وسيدنا صالح وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام تفي هاته الشروط لوصفها وبدقة، غير أن المعجزة القرآنية تتحقق بوضع شروط أخرى تنقلها من الدائرة العامة للدائرة الخاصة، فتجعلها معجزة لم يختص بها أي نبي من جهة ومن جهة تجعلها معجزة باقية هذه الخصائص يوضحها الجدول الآتي:

المعجزة	المعجزة القرآنية
أمر حسي خارق للعادة	أمر معنوي خارق للعادة
مؤقت بحياة الرسول	باق بعد الرسول
مقرون بالتحدي	مقرون بالتحدي
سالم من المعارضة	سالم من المعارضة
دال على صدق الرسول في دعواه	حامل لصدق الرسول في دعواه
/	دال على البلاغ المبين

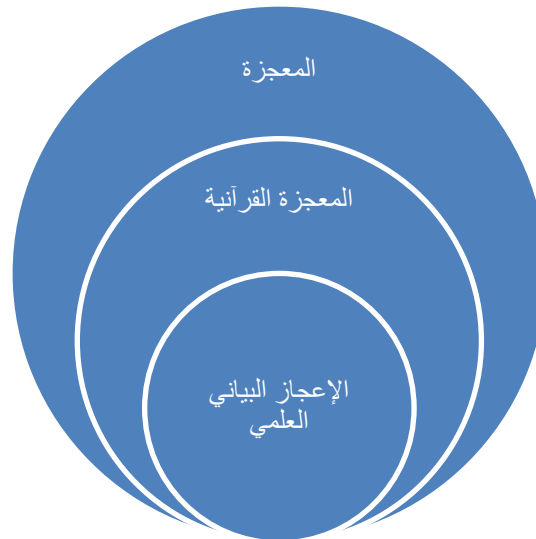
فواضح أن المعنوية التي تكتسبها المعجزة القرآنية هي التي تجعلها مستمرة عكس الحسية التي تنقضي بزوال المحسوس وبالتالي فالأولى تزول بوفاة الرسول لارتباطها به، أما الثانية فهي باقية لارتباطها بالكتاب لا بالرسول ﷺ، حتى وإن قرنا كل منهما بالتحدي والسلامة من المعارضة، كما أن الأول دال على صدق الرسول في دعواه، أما الثانية -أي المعجزة القرآنية- فهي حاملة لهذا الصدق دالة على صدق دعواه سواء وجد أم لم يوجد ﷺ، والميزة الأساسية في المعجزة القرآنية هي التي لا تتوفر في المعجزة العامة وهي المقصد من هذا الإعجاز وهو البلاغ المبين.

يذهب الدكتور في هذه المقاصد مذهبا لطيفا فإن كان أغلب الدارسين في الإعجاز البياني يرون أنّ الغاية من الإعجاز متعلقة بالمعجزة ذاتها فإنه يرى أنّ هنالك مصالح تستدرك بالمعجزة القرآنية ومفاسد ترد، منها:

المفسدة عند انقضائه (وهو محال)	المصلحة من وجوده
تحريف كلام الله	حفظ القرآن من التحريف
فساد العقيدة والشريعة	حفظ العقيدة والشريعة من التبديل والتحويل
التناقض والاختلاف	ينفي التناقض والاختلاف في الآيات
التطاول والتحدي للقرآن	تثبيت المؤمنين للاستمسك به
فشل الدعوة المحمدية	دليل على صدق الدعوة واستمرارها

وغيرها كثير مما ذكره الدكتور ورأى أنّ «دفع المفسدة في الإعجاز أولى من جلب المصلحة»⁽¹⁵⁾، وإن كنا نرى أن المعجزة القرآنية فاعلة لهما معا في وقت واحد فما تكون دفعت مفسدة ما إلا وجلبت مصالح شتى، فهو المعجز في كل أحواله وتصاريفه وأساليبه.

وبعد أن يحدد الدكتور عمار ساسي مفهوم المعجزة القرآنية كخاص من عام هو المعجزة، يذهب إلى تحديد مفهوم الإعجاز البياني كأخص من خاص من عام وفق هذا التنظيم:



فالإعجاز البياني الذي اختص به السابقون له -كما يرى- لازمه معنى محدود، بينما له معنى واسع رآه الدكتور عمار ساسي، فأما المحدود فهو مفهوم علم البيان باعتباره قسما من البلاغة أي المقابل لعلم المعاني وعلم البديع، والذي هو « معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه »⁽¹⁶⁾.

أما المعنى الواسع والذي تبناه الدكتور عمار ساسي ونراه إضافة جادة للبحث في هذا المجال له جانبين:

- إدخال الآيات المحكمات الخاصة بالأحكام والتشريع في باب الإعجاز البياني، والميزة هي أنها تفتقر إلى الصور البلاغية فهي «ترد على التفصيل في غالب الأحيان، وهي ثابتة دائما على المعنى الواحد الذي لا يقبل التأويل أبدا»⁽¹⁷⁾

- الإعجاز البياني العلمي تسمية جديدة تنقل الإعجاز من موضوع للتناول أو فن من الفنون ضمن البلاغة إلى علم قائم بذاته له موضوعه وحدوده وأدوات دراسته، بهذه الطريقة يجعل الإعجاز البياني العلمي يضم الآيات المحكمات والمتشابهات في القرآن الكريم.

قال الدكتور عمار ساسي تميّز في كتاباته بالحس النقدي غير المتحرج مما أدلى به القدماء أو المحدثون، فمن محاولته لإمساك مفهوم البيان وبحثه عن دلالاته في اللسان العربي والقرآن الكريم وعند فقهاء الشريعة وأهل الأصول وأهل البلاغة، ما يلبث معلقا على ما كتب في ذلك، ليخلص إلى أنّ المفهوم الاصطلاحي للبيان أوسع من أن يجعل جزء من البلاغة مقابلا للمعاني والبديع كما ذكرنا، إنما يوافق ما كان يحمل في اللسان العربي زمان السليقة والذي يوافق المعنى القرآني لمشتقات البيان التي مجموعها اثنان وثلاثون مشتق على نحو بين - بينة - البينة - بينات - بينا - بيناه وغيرها من المشتقات التي بحث فيها ووجد أن نظرية البيان هي نظرية تخص المعنى الأصلي الواسع يقول الدكتور عمار ساسي: «فللبين مدلولان: مدلول أصلي لغوي ومدلول فرعي اصطلاحي، ونظرية البيان - برأينا - تقوم أساسا على المدلول الأصلي الدقيق والواسع والشامل»⁽¹⁸⁾ الذي هو الوضوح والكشف عن المقصد.

وهذا يذهب الدكتور عمار ساسي في جدلية شمولية الواحد للأخر بين البلاغة والبيان مذهبا معاكسا لرأي الجاحظ في اعتباره البلاغ أوسع من البيان، غير أنّ الذي نراه في هذه المسألة أنّ زاوية نظر الجاحظ وعمار ساسي مختلفتان ولذلك كان الرأيان متعاكسين، فالجاحظ يرى أنّ البلاغ أوسع لأنه سابق وهو أساس اللغة وهو ما تذهب إليه جزء من اللسانيات الحديثة في كون الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل، أما عمار ساسي فيذهب لكون البيان أوسع من البلاغ، إذ البيان شامل للبلاغ والعكس غير صحيح، وهذا باعتبار أنّ البيان موجه للمؤمنين المبلغين أصلا لبيان شرائعهم ومعاملاته ودينهم، أما الكفار والمكذبين فلا حاجة لبيان ذلك فيكفهم البلاغ وهو ما لاحظته الأستاذ عمار ساسي من ارتباط ألفاظ البيان بالمؤمنين، وألفاظ البلاغ على قلمها ارتبطت بالكفار والجاحدين، ولذلك يقول عمار ساسي: «في البيان بلاغ وليس في كل بلاغ بيان»⁽¹⁹⁾، وهذا ما يدعمه إضافة البيان للبلاغ في قوله عزّ وجل: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (٥٤) ﴿النور ٥٤﴾.

إن هذه النظرة للدكتور عمار ساسي هي نظرة وظيفية تتجاوز البيان من المفهوم الضيق الذي يعني الخروج من الحقيقة إلى المجاز إلى الدور العام للغة والذي هو البيان، وبالتالي يتجاوز بهذا المفهوم الإعجاز البياني من مجرد صور بيانية ترد في الآيات التي تحتوي العديد من هاته الصور إلى الآيات المحكمات الخاصة بالعبادات والمعاملات، والتي تقل غيها هذه الصور البيانية بالمفهوم الضيق للبيان.

وبهذا يقدم نماذج من الإعجاز البياني العلمي في الآيات المحكمات، من خلال خصائص وظيفية للغة في مختلف مستوياتها نذكر بعضها فيما يلي:

- الفعل لمقام التكليف والاسم لمقام الجزاء على نحو: آمنوا في ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ المائدة 6، والمؤمنون في قوله عز وجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ المؤمنون 1
- العام للعام والخاص للخاص ومثال ذلك: جنبا كعام مقابل فاطهروا للعام في قوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ المائدة 6، والصلاة كفعل خاص مقابل اغسلوا للخاص في قوله عز وجل: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا﴾ المائدة 6.
- الإرادي للفعل وغير الإرادي للاسم ومثال ذلك الغائط ولمستم في قوله عز وجل: ﴿جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ المائدة 6.
- التقديم والتأخير للأهمية والاهتمام على نحو تقديم الضرب على التقصير في قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ النساء 101
- المفردة القرآنية في الآيات المحكمات ذات معنى أصلي واحد ومعاني فرعية متعددة لا يمكن أن تنفصل الفرعية عن الأصلية مثل أحصرتم في قوله عز وجل: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ البقرة 196 فلها معنى أصلي مشترك هو المنع يتفرع عنه معنى فرعي باطن كالمنع لمرض ومعنى فرعي ظاهر كالمنع لعدو قادم.
- شدة الأمر بصيغة "ولتفعلوا" وصراحة الأمر بصيغة "وافعلوا" مثل قوله عز وجل: ﴿فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ النساء 102 وقوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ النساء 103.
- الفعل إرادي مناسب لآيات المعاملات عكس الاسم الذي هو قليل مثل قوله عز وجل: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ النور 31:30

خاتمة: مما سبق نخلص إلى ما يلي:

- الخطاب هو رسالة ومتكلم ومتلقي يحدث بينهم بلاغ مبين وكذلك الخطاب القرآني.
- مناهج تحليل الخطاب القرآني متعددة، تضافرها لا يكفي بيان المعجز في كتاب الله فكيف بمنهج واحد
- الدكتور عمار ساسي عالم لساني ولغوي له مساهمات جمّة متميزة في تحليل الخطاب القرآني عامة والإعجاز البياني خاصة كتحديده لمفهوم الإعجاز البياني العلمي كأخص ضمن خاص هو المعجزة القرآنية من عام وهو المعجزة، وتحديده للفرق الحاسم بين المعجزة البيانية والمعجزة العامة في المقصد من المعجزة.
- للخطاب القرآني في الآيات المحكمات آيات التشريع؛ العبادات والمعاملات إعجاز بياني بخصائص متميزة تجعل البيان أوسع من عملية التبليغ والتواصل التي تجعلها اللسانيات الحديثة الوظيفة الأساسية للغة، فالبيان توصيل وتفصيل كما يقول الدكتور.

الهوامش

-
- (1) - آليات التحليل التداولي للخطاب التعليمي، حورية بزا وأحمد واضح، مجلة إشكالات في اللغة والآداب، مجلد 10، عدد3، 2021، ص 15
 - (2) - الخطاب وخصائص اللغة العربية، أحمد المتوكل، ط1، دار الإيمان، الرباط، 2010، ص 24
 - (3) - قراءة في مفهوم الخطاب وخصائصه عند العرب والغرب: مقاربة نظرية، برقان محمد، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد6، العدد1، ص203
 - (4) - الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، عبد الرحمان الحاج صالح، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2012، الجزائر، ص 13.
 - (5) - المرجع نفسه، ص 10
 - (6) - قراءة النص القرآني في ضوء المناهج الحديثة - نموذج المنهج البنوي، كمال بولعسل، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المجلد12، العدد2، ص1688.
 - (7) - سورة البقرة دراسة سيميائية، مراكشي لامية، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، العدد 51، 2019، ص 83.

- (8) - الخطاب القرآني في سورة الشعراء - دراسة في النسيج اللغوي والدلالي، لزهرة اسماعيلي، مذكرة ماجستير، جامعة أم البواقي، 2010، ص 234
- (9) - ينظر: مفصل السيرة العلمية للدكتور عمار ساسي بموقع جامعة البليدة [/ https://univ-blida2.dz](https://univ-blida2.dz)
- (10) - الإعجاز البياني في الآيات المحكمات دراسة نظرية، عمار ساسي، دار المعارف، الجزائر، 2003، ج 1، ص 13.
- (11) - المرجع نفسه، ج 1، ص 14
- (12) - ينظر: تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي، بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤ هـ)، تحقيق: سيد عبد العزيز وعبد الله ربيع، مكتبة قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث، ط 1، القاهرة، 1998، ص 755، وينظر: الغيث الهامع شرح جمع الجوامع، ولي الدين أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي (ت ٨٢٦ هـ)، تحقيق: محمد تامر حجازي، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 2004، ص 768.
- (13) - أحمد عمر أبو شوفة، المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2003، ص 21.
- (14) - الإعجاز البياني في الآيات المحكمات دراسة نظرية، مرجع سابق، ج 1، ص 14
- (15) - المرجع نفسه، ص 93
- (16) - يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦ هـ)، مفتاح العلوم، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، بيروت، ص 162.
- (17) - الإعجاز البياني في الآيات المحكمات دراسة نظرية، مرجع سابق، ج 1، ص 81.
- (18) - المرجع نفسه، ج 1، ص 126
- (19) - المرجع نفسه، ج 1، ص 157